المحاضرة رقم 02:الدور الثقافي للآثار.

تمهيد:

يعتبر جميع ما أنجزه الإنسان قديماً في نواحي الحضارة بصمات ثقافية تشكل مخزوناً من الخبرات يُعتمد عليه في تفسير العديد من الظواهر العمرانية وغيرها من المجالات،ولم يعد يُنظر لها من هذا الجانب فقط،إنما أصبحت مصدراً مهماً في ذرِّ العملة الصعبة،ورافداً أساسياً في بناء الهوية الجماعية للمجتمعات،وعليه سنعرض في هذه المحاضرة الدور الذي تقدِّمه الممتلكات الثقافية في الميدان الثقافي.

1-الدور الثقافي:

هناك من يرى أن الثقافة كلمةٌ ليست بالقديمة جاءتنا من أوروبا،وهي تعني العبقرية الأوروبية،فهي ثمرة من ثمار عصر النهضة عندما شهدت أوروبا انبثاق مجموعة من الأعمال الأدبية،وقد رادفت الكلمة الفرنسية Culture المشتقة من الأصل اللاتيني Cultuvar التي تعني الزراعة،فالواقع أن الفرد الأوروبي في تلك الفترة كان إنسان الأرض،وأن الحضارة الأوربية هي حضارة الزراعة لأنها العملية التي تضم بين دفتيها عدداً من الخبرات التي تسير وتنظم إنتاج الأرض.

لقد عرف الأنتربولوجي تايلور"Taylor" الثقافة أنها ذلك الكل المركب من العقائد والفنون والأخلاق والعرف وسائر القدرات الأخرى التي يكتسبها الإنسان من حيث هو عضو في المجتمع،كما

عرفهـــا راد كليف براون RAD KLIFF BRAOUNE بقوله أن الثقافة هي العملية التي يكتسب من خلالها الفرد المعرفة والمهارة والأفكار والمعتقدات والأذواق والعواطف،وذلك عن طريق الاتصال بأفراد آخرين أو من خلال أشياء أخرى كما أنه يكتسب الأعمال الفنية.

يكمن دور الممتلكات الثقافية على اختلافها في مجال الثقافة في مايلي:

-تعتبر بمثابة خطوة مهمة لفهم أنفسنا:بعد التطلع إلى الوراء على طول الطريق الذي قطعته الأمة يكون فهمنا أكبر لحاضرنا،ومن ثمّ مستقبلنا،وذلك باعتبار جملة الآثار تجسيد مادي لثقافة معينة في مجال معين.

-تعد الآثار الباقية مخزوناً علمياً لا يستهان به:تحمل الشواهد المادية تقنيات حول تنفيذ الزخارف وتنصيب الأعمدة...إلخ،وكذا في مجال معمل الساعات الحجرية،وهو ما يعين الباحث على دراسة تطور الحضارات والفنون عبر الزمن،مكونة بذلك مادة خصبة للبحث العلمي.

-تعتبر مصدراً موثوقاً في مجال البحث التاريخي وتمحيص الخبر وإغناء المعلومات التاريخية:وذلك لأنها تخلو من الذاتية،وتعد بحق نافذة نطل من خلالها على النمط المعماري والمستوى الاجتماعي والواقع السياسي الذي كان سائدا،وهو الأمر الذي قلَّما اتصف به المؤرخ.

-تعتبر نقطة التقاء الثقافات،وتجديد الأفكار وتغيير بعض المفاهيم التي كانت سائدة:لقد وصفها المفكر بيفارنوس في هذا الصدد أنها بمثابة غذاء للروح والنفس.

-تعزِّز من تجسيد الهوية الثقافية،بالنسبة لكلمة الهوية فهي مأخوذة من"هُوَ" بمعنى جوهر الشيء وحقيقتها أنها كبصمة الإنسان التي يتميز بها عن غيره،وهي تعني التفرُّد في العادات والقيم والنظرة نحو هذا العالم،وقد اتفق أهل الاختصاص أن الهوية الفردية هي المؤسس للهوية الجماعية،وهي عملية تصنيفية

تضـع حدوداً فاصـلة بين نحن وهم،وعليه يمكن القول أن هوية الفرد أو الجماعة تعني بصـفة واضـحة خاصـــية التفرد التي تميزنا عن الآخرين في لحظة تفاعلنا مع الآخرين،وفي مجال الممتلكات الثقافية تعتبر المعنى الأول للأصالة كما أشار إلى ذلك عدد من دارسي الآثار.

بالموازاة مع الطابع الذي تتصـــف به الحضـــارة من تحولٍ وتغيرٍ،تنطلق فيه من نقطة الانكماش إلى الانتشـار مزيلة بذلك المفاهيم التي كانت موجودة من قبل،خاصـة أن الإنسـان اجتماعي بطبيعته كما أكد ذلك المفكر علي ســـالم بقوله أن المرء يولد بمفرده ويموت بمفرده،لكنه لا يحيا إلاَّ مع الآخرين وبالآخرين وللآخرين،ومن ثمَّ ســـتتغير لا محالة قيمه التي توارثها عن الأســـلاف،ولذلك تعد المعالم التاريخية والمواقع الأثرية أحد الركائز الأساسية في ربط الإنسان وإبقائه في المسار الثقافي الأصيل،خاصة أن العولمة ألقت بثقلها على كل صغيرة و كبيرة في هذا العالم.